مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد التاسع ـ العدد الأول

المحرم ـ ربيع الأول ١٤٢٨هـ
(يناير ـ مارس ٢٠٠٧م)

• قراءة الحجّاج بن يوسف الثقفي بين الفصاحة وصحة النسبة
• الاحتجاج اللغوي بين النظرية والتطبيق
• آلية الاشتقاق ودورها في تشكيل المصطلحات النقدية الجديدة
• نحو بناء معجم آلي للغة العربية
• أخلال عروضية في شواهد المحكم (المطبوع) الشعرية
• رد على مراجعة وتعقيب
• كشاف المجلد الثامن ـ السنة الثامنة

مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير
تركي بن سهو العتيبي

هيئة التحرير
صالح بن حسين العايد
صالح بن سليمان العمير
عبدالرحمن بن محمد العمار

مدير التحرير
سيف بن عبدالرحمن العريفي

عنوان المراسلة
مجلة الدراسات اللغوية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
المملكة العربية السعودية
ناسوخ ٤٦٥٩٩٩٣

Journal of Linguistic Studies
P.O. Box 51049 Riyadh 11543
Saudi Arabia
Fax: 4659993

ردمد: ١٣١٩-٨٥١٣
الإيداع: ٢٠/٩٨٢

المحتويات

• قراءة الحجّاج بن يوسف الثقفي
إبراهيم بن سالم الصّاعديّ ٥

• الاحتجاج اللغوي بين النظرية والتطبيق
عاطف فضل ٤٩

• آلية الاشتقاق ودورها في تشكيل المصطلحات النقدية الجديدة
يوسف وغليسي ٨٥

• نحو بناء معجم آلي للغة العربية
محند الركيك ١٢١

• أخلال عروضية في شواهد المحكم الشعرية
حسين بركات ١٥٧

• رد على مراجعة وتعقيب
سعود بن عبدالله آل حسين ٢٠٣

• كشاف المجلد الثامن ـ السنة الثامنة
محمد فاروق بكداش ٢٢٥

المجلد التاسع ـ العدد الأول ـ المحرم ـ ربيع الأول ١٤٢٨هـ / يناير ـ مارس ٢٠٠٧م

الهيئة الاستشارية للتحرير:

⋆ إبـراهـيم بن سـلـيـمـان الـشـمـسـان	أستاذ النحو جامعة الملك سعود.
⋆ أمـــين عـــبـــدالـــلـــه ســـالم	أستاذ النحو كلية اللغة العربية المنوفية.
⋆ حـــســن شـــاذلي فـــرهـــود	أستاذ النحو سابقاً في جامعة الملك سعود.
⋆ ســلـيـمــان بن إبـراهـيـم الـعـايـد	أستاذ علم اللغة جامعة أم القرى.
⋆ عـبـــد الـعـــلي الـــودغـيـــري	أستاذ اللغويات جامعة محمد الخامس.
⋆ عـــــلي أبـــــو المـــــكـــــارم	عميد كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقاً.
⋆ عـيـــاد بن عـيـــد الـثـبـيـتي	أستاذ النحو جامعة أم القرى.
⋆ مـــحـــمـــد بـن حـــسن بـــاكلا	أستاذ علم اللغة جامعة الملك سعود.
⋆ محـمـد بن يـعـقـوب تـركـسـتـاني	أستاذ علم اللغة الجامعة الإسلامية.

ضوابـط النشـر:

١ـ أن يـكون البحث ضـمن اختصاصات المجلة، وهي: الـدراسات النحـوية والتصـريفية والـلغوية والـلسانية والعروضية.

٢ـ ألا يزيد البحث على ثمانين صفحة.

٣ـ ألا يكون البحث منشوراً، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى.

٤ـ أن يكون البحث مطبوعاً على ورق (A4).

٥ـ دقة التوثيق والتخريج، وأن تكون هوامش كل صفحة أسفلها.

٦ـ أن يكون البحث مذيلاً بالمراجع كاملة البيانات.

٧ـ أن يكون البحث باللغة العربية.

٨ـ أن يكون البحث متسماً بالأصالة، وفيه جدة وابتكار.

٩ـ أن يقدم الباحث من بحثه ثلاث نسخ وملخصاً له.

١٠ـ لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت أم لم تقبل.

تخضع البحوث التي تقدم إلى المجلة للفحص العلمي من قِبل متخصصين ترشحهم هيئة التحرير

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

أولاً : البحوث والدراسات

قراءة الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ
بين الفصاحة وصحّة النّسبة
عرض ومناقشة

إبراهيم بن سالم الصّاعديّ
كلّية اللّغة العربيّة ـ الجامعة الإسلاميّة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد: فالقراءات القرآنية مصدر أصيل من مصادر دراسة العربية الفصحى، وهي على اختلافها حجة؛ وثروة جديرة بالتّأمّل، والمناقشة.

ومن هذه القراءات ما أجمعت الأمة على قبوله، ومنها ما اتفق على شذوذه؛ وهناك ضوابط تعرف بها القراءات المقبولة من الشاذة؛ فكل قراءة صَحّ سندها، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، ووافقت أحد أوجه العربية؛ فهي القراءة المقبولة، وما عداها يُعد شاذاً(١).

ومن خلال قراءتي في كتب القراءات والتفسير لفت نظري وجود بعض القراءات للحجاج بن يوسف الثقفي؛ فعقدت العزم على دراسة شخصية الحجاج من خلال هذا الجانب ـ ولن أتعرّض للجانب التاريخي من حياة الحجاج فقد ألفت كتب كثيرة في ذلك(٢) ـ وبيان فصاحته، وجمع تلك القراءت، وبيان صحة نسبتها إلى الحجّاج، ثم دراستها دراسة لغوية؛ وقد كان لهذا الاختيار أسبابه التي منها:

١ـ طرافة هذا الموضوع؛ إذ يكشف لنا جانباً مهماً من حياة الحجاج.

٢ـ أنّ الباحثين في تاريخ الحجاج وبعض القارئين له لا يعرفون إلاّ الجانب التاريخي من حياته؛ فهذه الدراسة تزيح الستار عن الجانب المضيء في حياة الحجاج.

٣ـ أنّ هذه الدراسة تكشف لنا عناية الحجاج بالقرآن الكريم؛ ولا أدل على ذلك

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر ١ / ٥٣.

(٢) مثل: كتاب: " جبار ثقيف الحجاج بن يوسف، تأليف/ رياض محمود رويحة، وكتاب: " الحجاج بن يوسف حاكم العراقيين، تأليف / عمر أبي النصر، وكتاب: " الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أميّة وسفاح العراق، تأليف/ محمد إبراهيم سليم، وكتاب: " سيف بني مروان الحجاج، تأليف/ عبدالرزاق حميدة.

من أمره بنقط كلمات القرآن وشكله؛ لِتَتَيَسَّر قراءته، ويتضح معناه.

٤ـ لم أجد ـ فيما أعلم ـ مَنْ عُنِي بهذا الجانب في شخصيّة الحجّاج بن يوسف الثّقفي؛ فأردت أنْ أبيّنه، وأعرضه للقارئ الكريم، وأناقشه مناقشة لغويّة تُبيِّن المكانة اللغويّة للحجّاج.

خطّة البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتألف من مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم فهارس.

المقدّمة.

وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطته، والمنهج المتبع فيه.

التّمهيد: التّعريف بالحجّاج:

أوّلاً ـ اسمه، و نسبه، وكنيته، ولقبه.

ثانياً ـ مولده، ونشأته، وأسرته، ووفاته.

المبحث الأوّل: قراءة الحجّاج بين الفصاحة وصحّة النّسبة.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأوّل: فصاحة الحجّاج.

المطلب الثّاني: عناية الحجّاج بالقرآن الكريم.

المطلب الثّالث: الحجّاج ومصحف عثمان.

المطلب الرّابع: صحّة نسبة القراءة إلى الحجّاج.

المبحث الثّاني: التّوجيه النّحوي لقراءة الحجّاج.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأوّل: المضارع بين الغيبة والخطاب.

المطلب الثّاني: تقدير اسم كان.

المطلب الثّالث: الفعل بين البناء للفاعل والبناء للمفعول.

المطلب الرّابع: استعمال " أَنَّ " بفتح الهمزة، في موضع " إِنَّ " بكسر الهمزة.

المبحث الثّالث: التّوجيه الصّرفي واللّغوي لقراءة الحجّاج.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: قراءة " صُلُوتٌ " بدل " صَلَوات " في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ﴾.

المطلب الثّاني: قراءة " صُلُوبٌ " بدل " صَلَوات " في الآية السّابقة.

المطلب الثّالث: استعمال" آتيكم " بدل " أنبئكم " في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾.

الخاتمة، ثم الفهارس.

طريقة العرض والمناقشة:

١ـ وضع العنوان المناسب لموضوع القراءة.

٢ـ ذكر الآية الكريمة التي وردت فيها القراءة.

٣ـ توثيق القراءة من مظانها المختلفة.

٤ـ ذكر ما ورد في تلك القراءة من توجيهات نحوية أو صرفية أو لغوية، ومناقشتها بالاعتماد على الكتب الأصيلة في هذه العلوم.

التّمهيد: التّعريف بالحجّاج

أوّلاً ـ اسمه، و نسبه، وكنيته، ولقبه:

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب(١) ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف(٢)؛ هذا نسب الحجاج من أبيه.

أما أمه فهي: الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي؛ كانت تحت الحارث ابن كَلَدَة الثقفي الطائفي حكيم العرب؛ فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل فبعث إليها بطلاقها، فقالت: لِمَ بعثت إليّ بطلاقي؟ أَلِشَيءٍ رابك مني؟ قال: نعم؛ دخلت عليك عند السحر وأنت تتخللين؛ فإن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة، وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة؛ فقالت: كل ذلك لم يكن؛ لكنّي تخللت من شظايا السِّواك، فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي؛ أبو الحجاج، فولدت له الحجاج(٣).

وذكر بعض المؤرخين أنّ الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة بن شعبة؛ وأنّه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل، فتزوجها أبو الحجاج(٤).

أما أبو الحجاج فهو يوسف بن الحكم الذي كان من سادات ثقيف وأشرافهم، ومن المعلمين في الطائف، وكان ذا وجاهة عند الخليفة الأموي قبل أن يتولى الحجاج الإمارة(٥).

وكان الحجاج يُكنّى: أبا محمد(٦).

(١) وفي تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٢/ ١١٣: ابن جابر بن مُعتِّب.

(٢) ينظر: المعارف لابن قتيبة ٣٩٥، وجمهرة أنساب العرب ٢٦٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٥.

(٣) ينظر: مروج الذهب ٣/ ١٣٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩، وشذرات الذهب ١/ ١٠٦، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٥، ١٥٦.

(٤) ينظر: العقد الفريد ٥/ ٢٧٥، والمحاسن والأضداد ١٥٨، وتاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١١٦، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٦.

(٥) ينظر: المعارف ٥٤٨، والعقد الفريد ٥/ ٢٧٥، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٦.

(٦) ينظر: المعارف ٣٩٦، وتاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١١٣.

ويرى بعض المؤرخين أنّ اسمه الحقيقي "كُلَيْب "(١). ويعلل أحد الباحثين ذلك بأنّ العرب كانت تختار لأبنائها أسماء تدلّ على القوة والشدة كصخر وفهد وأسد وكليب؛ فلعل أمه سمته بذلك جرياً على العادة القديمة فكان لقباً له؛ ثم أسمته بالحجاج للتفاؤل بأن يكون من المكثرين للحج(٢).

ومنهم من يرى أنّه لقب له؛ ذكر ذلك المبرد فقال: «وكان لقبه كُلَيْباً؛ وفي ذلك يقول القائل:

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زَمانَ الهُزَالِ وتَعليمَهُ صِبْيَةَ(٣) الكَوثرِ

رَغِيفٌ لَه فَلْكَةٌ ما تُرَى وآخَرُ كالقَمَرِ الأَزْهَرِ

يقول: خُبز المُعلمين يأتي مختلفاً؛ لأنه من بيوت صبيان مختلفي الأحوال....

وفي لقبه يقول آخر من أهل الطائف:

كُلَيْبٌ تَمَكَّنَ في أَرْضِكُم وَقَدْ كَانَ فِيْنَا صَغِيرَ الخَطَرْ»(٤).

ثانياً ـ مولده، ونشأته، وأسرته، ووفاته:

ولد الحجاج في الطائف(٥) سنة ٣٩هـ، وقيل سنة ٤٠هـ، أو ٤١هـ(٦).

(١) ينظر: المعارف ٥٤٨، والعقد الفريد ٥/ ٢٧٥، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٣٨.

(٢) ينظر: الحجاج بن يوسف الثقفي ـ رحمه الله ـ المفترى عليه ص ٣٢.

(٣) هناك رواية أخرى ؛ وهي: سورة الكوثر، لكنّ الرواية الصحيحة ما أثبته؛ لأنّ (كوثر) اسم قرية، قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٤/ ٤٨٧: (كَوْثَر: قرية بالطائف، وكان الحجّاج بن يوسف مُعَلِّماً بها) ثم استشهد بالبيت السّابق.

(٤) الكامل ٢/ ٦٣٠. وينظر: المعارف ٥٤٨.

(٥) هذا رأي أكثر المؤرخين. ينظر: البداية والنهاية ٩/ ١٥٧.

وفي النجوم الزاهرة ١/ ٢٣٠ أنه ولد بمصر بدرب السراجين.

وذكر ابن عبد الحكم في كتابه أخبار مصر وفتوحها ١٠٩ أن الحجاج وأباه قدما على حبيب بن أوس الثقفي بمصر؛ وذلك يرجح أنه ليس بمولود بها.

ينظر: الحجاج بن يوسف الثقفي ـ رحمه الله ـ المفترى عليه ص٣٢.

(٦) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١١٥، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٧.

ونشأ الحجاج في أسرة مثقفة متعلمة؛ فقد كان هو وأبوه وأخوه معلمين في الطائف؛ فحفظ القرآن في صباه، وتفقه في الدين والعربية؛ وكان منذ نشأته لبيباً فصيحاً بليغاً؛ وقد انتقل من الطائف إلى دمشق مقر الخلافة الأموية؛ وفيها عمل أول أمره معلماً لوشاقية سليمان بن نعيم وزير عبدالملك(١).

أمّا أسرته فقد تزوج الحجاج بعدة نساء؛ منهنّ أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، وأم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد، وأم سلمة بنت عبدالرحمن بن عمرو، وله زوجتان مشهورتان؛ هما هند بنت المهلب، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزاري(٢).

وأمّا أولاده فهم: محمد؛ وقد مات في حياة أبيه، وذريته أقامت في دمشق، وعبد الملك؛ وكان له ذرية في البصرة، وأبان، والوليد؛ ماتا دون عقب(٣).

وله بنتان؛ تزوجت إحداهما ابناً للخليفة عبدالملك بن مروان، وثانيتهما بمسرور ابن الخليفة الوليد(٤).

أمّا حياته فقد بخلت المصادر بالمعلومات الوافية عنها قبل سنة ٧٢هـ؛ وهي السنة التي قاد فيها الجيش الأموي لحرب ابن الزبير؛ وكان عبدالله بن الزبير قد ثار على الدولة الأموية ونادى بنفسه خليفة في الحجاز والعراق ومصر، وانتصر الحجاج على ابن الزبير وخر ابن الزبير صريعاً في القتال في سنة ٧٣هـ؛ عندئذ ولّى عبدالملك الحجاجَ على الحجاز واليمن فاستطاع الحجاج في عامين اثنين أن يوطد الأمن فيهما ويحملهما على طاعة بني أمية، فأضاف إليه عبدالملك من أجل ذلك

(١) ينظر: البداية والنهاية ٩/ ١٥٧، والحجاج بن يوسف الثقفي؛ وجهٌ حضاري في تاريخ الإسلام ١٩.

(٢) ينظر: العقد الفريد ٧/ ١١٣، وتاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١٢٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣، وشذرات الذهب ١/ ١٠٦، والحجاج بن يوسف الثقفي ـ رحمه الله ـ المفترى عليه ص٤٠٥

(٣) ينظر: المعارف ٣٩٨، والحجاج بن يوسف الثقفي ـ رحمه الله ـ المفترى عليه ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٤) ينظر: الحجاج بن يوسف الثقفي ـ رحمه الله ـ المفترى عليه ص ٤٠٧.

الولاية على العراق(١).

وقد توفي الحجاج بن يوسف سنة ٩٥ هـ في يوم الجمعة لتسع بقين من رمضان؛ وقيل: مات في شوال؛ وسِنّه ثلاث وخمسون، أو أربع وخمسون، أو خمس وخمسون سنة.

قال عنه الذّهبي: «أهلكه الله في رمضان سنة خمسٍ وتسعين كَهْلاً، وكان ظَلُوماً، جبّاراً، ناصبيّاً، خبيثاً، سفّاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومَكْرٍ ودهاء»(٢).

وعند وفاته استخلف على الصلاة ابنه عبد الملك بن الحجاج، وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم مولاه(٣).

ومات الحجاج ولم يترك إلاّ ثلاثمائة درهم وَمُصْحَفاً وسَرْجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة(٤).

المبحث الأوّل: قراءة الحجّاج بين الفصاحة وصحّة النّسبة.

المطلب الأوّل: فصاحة الحجّاج:

الحجاج معروف ببلاغة خطبه وفصاحته ومعرفته باللغة، وتذوقه الشعر وحفظ الكثير منه والاستشهاد به؛ ومَنْ تتبع كتب الأدب وجد كثيراً من أخباره وخطبه؛ التي تدل على فصاحته ومعرفته باللغة(٥)؛ ويدل على ذلك ما ذكره العلماء من أقوالٍ تصف فصاحته، وتذكر محاسنه؛ من ذلك مايأتي:

(١) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١١٣، و شذرات الذهب ١/ ١٠٦، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ١/ ٥٤٩، ٥٥٠، والحجاج بن يوسف الثقفي؛ وجهٌ حضاري في تاريخ الإسلام ١٩.

(٢) سير أعلام النّبلاء ٤/ ٣٤٣.

(٣) ينظر: المعارف ٣٩٧، وتاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١٩٢، ١٩٧، وما بعدها، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١١٧، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٣٧، والبداية والنهاية ٩/ ١٨٢.

(٤) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١٩١، والبداية والنهاية ٩/ ١٨٢.

(٥) ينظر: الحجاج رجل الدولة المفترى عليه ص ٧٩.

قال أبو عمرو بن العلاء: «ما رأيت أحداً أفصح من الحجاج والحسن، والحسن أفصحهما»(١).

وقال عُتْبة بن عمرو: «ما رأيت عقول الناس إلاّ قريباً بعضها من بعض، إلاّ الحجّاج و إياس بن معاوية؛ قال: عقولهما كانت ترجح على عقول الناس»(٢).

وقال ابن كثير: «نشأ الحجاج شاباً لبيباً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن»(٣).

وقال عنه الذّهبي: «كان ذا فصاحة وبلاغة، وتعظيمٍ للقرآن»(٤).

وقال ابن العماد الحنبليّ: «كان ـ أي: الحجاج ـ شجاعاً مقداماً مهيباً مفوّهاً فصيحاً»(٥).

والحجاج بن يوسف مع فصاحته إلاّ أنّ بعض المؤلفين ذكر بعض الأخبار التي دلّت على وقوعه في اللحن؛ وهذا اللحن وقع منه عند قراءته لآية من كتاب الله(٦).

المطلب الثّاني: عناية الحجاج بالقرآن الكريم:

عُنِيَ الحجّاج بن يوسف بالقرآن الكريم؛ ومما يدل على ذلك ما ورد في بعض الروايات من حرصه على القرآن الكريم وكثرة تلاوته؛ بيان ذلك فيما يأتي:

قال الذّهبي: «كان ذا فصاحة وبلاغة، وتعظيمٍ للقرآن»(٧).

وقال بعض السّلف: «كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة»(٨).

(١) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١١٧، والوافي بالوفيات١١/ ٢٣٧، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٧.

(٢) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١١٧، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٧.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ١٥٧.

(٤) ينظر: سير أعلام النّبلاء ٤/ ٣٤٣.

(٥) شذرات الذهب ١/ ١٠٦.

(٦) سيأتي تفصيل الحديث في ذلك لاحقاً.

(٧) ينظر: سير أعلام النّبلاء ٤/ ٣٤٣.

(٨) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١١٧، والبداية والنهاية٩/ ١٥٧، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٣٧.

وقيل: «كان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعاً »(١).

وقال ابن عون: «كنت إذا سمعت الحجّاج يقرأ عرفت أنّه طالما درس القرآن »(٢).

وقال الخضري: «وكان ـ أي :الحجاج ـ من قراء القرآن وحفاظه المعدودين »(٣).

ومن مظاهر عناية الحجاج بالقرآن الكريم ما يأتي:

١– أمر بمراجعة القرآن ونقط كلماته وشكله؛ وذلك أنّ إعجام المصاحف لم يحدث على المشهور إلاّ في عهد عبدالملك بن مروان إذ رأى أنّ رقعة الإسلام قد اتسعت، واختلط العرب بالعجم، وكادت العجمة تمسُّ سلامة اللغة، وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف يُلِحُّ بالناس، حتى ليشق على السواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته وهي غير معجمة؛ هنالك رأى بثاقب نظره أن يتقدم للإنقاذ؛ فأمر الحجاجَ أن يُعنى بهذا الأمر الجلَل، وندب الحجاجُ ـ طاعةً لأمير المؤمنين ـ رجلين يعالجان هذا المشكل؛ هما: نصر بن عاصم الليثي(٤)، ويحيى بن يعمر العدواني(٥)؛ وكلاهما كفء قدير على ما نُدب له إذ جمعا بين العلم والعمل، والصلاح والورع، والخبرة بأصول اللغة ووجوه قراءة القرآن، وقد اشتركا أيضاً في التلْمذة والأخذ عن أبي الأسود الدؤلي(٦).

وقد تحدّث أبو أحمد بن عبدالله العسكري عن ذلك فقال: «وقد رُويَ أنّ

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٦٤.

(٢) ينظر:تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١١٧، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٣٧، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٧.

(٣) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة الأموية ـ ٢/ ١٧٦.

(٤) تنظر ترجمته في: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٣٨، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٧، وإنباه الرواه للقفطي ٣/ ٣٤٣.

(٥) تنظر ترجمته في: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٤٠، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٧، وإنباه الرواه للقفطي ٤/ ٢٤، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٣٨١.

(٦) مناهل العرفان ١/ ٤٠٦، ٤٠٧، و ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ٣٢.

السّبب في نَقْط المصاحف أنّ النّاس غَبَروا يقرؤون في مصاحف عثمان رحمة الله عليه نيّفاً وأربعين سنة إلى أيّام عبدالملك بن مروان،ثم كَثُر التّصحيف وانتشر بالعراق فَفَزِعَ الحجّاج إلى كُتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إنّ نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النَّقْط أفراداً وأزواجاً وخَالَفَ بين أماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف.فَغَبَرَ النّاسُ بذلك زماناً لا يكتبون إلاّ منقوطاً فكان مع استعمال النَّقْط أيضاً يقع التّصحيفُ؛ فأحْدَثوا الإعجام فكانوا يُتْبِعون النَّقط بالإعجام فإذا أُغفِل الاستقصاء على الكلمة فلم توفَّ حقوقَها اعتَرَى هذا التّصحيفُ فالتَمَسوا حيلة فلم يَقْدِروا فيها إلاّ الأخذ من أفواه الرجال»(١).

ويروي ابن عطية: أنّ الحجاجَ أمر ـ وهو والي العراق ـ الحسنَ البصري، ويحيى ابن يعمر بذلك(٢).

والحقيقة أنّ هؤلاء الثّلاثة قد اشتركوا في هذا العمل الجليل(٣).

ويُعَدُّ نقط المصحف نقط إعجام المرحلة الثالثة في المحافظة على القرآن الكريم من التصحيف والتحريف واللحن، فإنّ المرحلة الأولى تتمثّل في جمع القرآن الكريم، والثانية تمثلت في التوصل إلى القواعد النحوية التي كان لها الأثر العظيم في محاربة اللحن في آياته الكريمة(٤).

٢- ومن عنايته بالقرآن الكريم؛ ما روي عن أبي بكر بن أبي داود أنّه قال: «جمع الحجاج بن يوسف الحفاظ والقراء، قال أبو بكر: فكنت فيهم، فقال: الحجاج: أخبروني عن القرآن كله كم هو من حرف؟ قال أبو بكر: فجعلنا نحسب

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١٤.

(٢) المحرر الوجيز ١ / ٥٠، و ينظر: تفسير القرطبي ١ / ٦٣.

(٣) مراحل تطوّر الدّرس النّحوي ٥٧.

(٤) المصدر السّابق.

حتى أجمعوا أن القرآن كله ثلاثمائة ألف حرف وأربعين ألفا وسبعمائة ونيف وأربعين حرفاً، قال الحجاج: فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن، فحسبوا فأجمعوا أنه ينتهي في الكهف الآية ١٩ (وليتلطف) في الفاء، قال الحجاج: فأخبروني بأسباعه على الحروف؟ قال أبو بكر: فإذا أول سُبع في النساء الآية ٥٥ (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه) في الدال. والسبع الثاني في الأعراف الآية ١٤٧ (أولئك حبطت) في التاء. والسبع الثالث في الرعد الآية ٣٥ (أكلها دائم) في الألف آخر (أكلها). والسبع الرابع في الحج الآية ٣٤ (لكل أمة جعلنا منسكاً) في الألف. والسبع الخامس في الأحزاب الآية ٣٦ (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) في الهاء. والسبع السادس في الفتح الآية ٦ (الظانين بالله ظن السوء) في الواو. والسابع ما بقي من القرآن. قال الحجاج: فأخبروني بأثلاثه؟ قالوا: الثلث الأول رأس مائة آية من براءة، والثلث الثاني رأس إحدى ومائة آية من طسم الشعراء، والثلث الثالث ما بقي من القرآن. ثم سألهم الحجاج عن أرباعه فإذا أول ربع خاتمة سورة الأنعام، والربع الثاني الكهف الآية ١١٩ (وليتلطف) والربع الثالث خاتمة الزمر. والربع الرابع ما بقي من القرآن»(١).

قال إبراهيم الأبياري: «وما نظن الحجاج كان يستملي في هذه التجزئة إلاّ عن تفكير في التيسير، فجعله نصفين على القارئ المجد، ثم أثلاثاً على اللاحق، ثم أرباعاً على من يتلو اللاحق، ثم أسباعاً على من يريد أن يتمه في أسبوع، وكانت تلك هي النهاية التي أحبها الحجاج للمسلمين، وكأنه لم يحب لهم أن يتجاوزوها، لذلك لم يمض مع القراء والحفاظ يسألهم عما بعدها، ونحن نعلم أن الحجاج كان يقرأ القرآن كله في كل ليلة»(٢).

(١) ينظر: كتاب المصاحف ٢٧٦، ٢٧٧. وينظر: تفسير القرطبي ١/ ٦٤.

(٢) تاريخ القرآن ١٤٨.

٣- ومن عنايته بالقرآن الكريم ـ أيضاً ـ أنّه وَضَعَ الأعشار[١]، وقيل: إنها من عمل المأمون[٢]، كما أمر بعد ذلك بكتابة عدة مصاحف؛ وأرسلها إلى الأمصار حتى لا يختلف الناس[٣].

المطلب الثالث: الحجاج ومصحف عثمان:

روى أبو بكر بن أبي داود السجستانيّ في كتاب المصاحف بسنده فقال: «إنّ الحجاج بن يوسف غيّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً؛ قال: كانت في البقرة (س٢ آ٢٥٩) (لم يتسن وانظر) بغير هاء فغيرها (لم يتسنه) بالهاء، وكانت في المائدة (س٥ آ٤٨) (شريعة ومنهاجا) فغيرها (شرعة ومنهاجا) وكانت في يونس (س١٠ آ٢٢) (هو الذي ينشركم) فغيره (يسيركم) وكانت في يوسف (س١٢ آ٤٥) (آتيكم بتأويله) فغيرها (أنا أنبئكم بتأويله) وكانت في المؤمنين (س٢٣ آ ٨٥، ٨٧، ٨٩) (سيقولون لله لله لله) ثلاثتهن فجعل الأخريين (الله الله) وكانت في الشعراء في قصة نوح (س٢٦ آ١١٦) (من المخرجين) وفي قصة لوط (آ١٦٧) (من المرجومين) فغير قصة نوح (من المرجومين) وقصة لوط (من المخرجين) وكانت في الزخرف (س٤٣ آ٣٢) (نحن قسمنا بينهم معايشهم) فغيرها (معيشتهم) وكانت في الذين كفروا (س٤٧آ١٥) (من ماء غير ياسين) فغيرها (من ماء غير آسن) وكانت في الحديد (س٥٧ آ٧) (فالذين آمنوا منكم واتقوا لهم أجر كبير) فغيرها (وأنفقوا) وكانت في إذا الشمس كورت (س٨١ آ ٢٤) (وما هو على الغيب بظنين) فغيرها (بضنين)»[٤].

(١) قال في اللسان: «عواشر القرآن: الآي التي يتم بها العَشْرُ. والعاشرة: حَلْقة التعشير من عواشر المصحف، وهي لفظة مولدة» ٤/ ٥٧١ (عشر).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ٥٠، و ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٦٣.

(٣) ينظر: الحجاج بن يوسف الثقفي ـ رحمه الله ـ المفترى عليه ص ٩٨.

(٤) كتاب المصاحف ١٥٧، ١٥٨، و ينظر: ص ٢٧٢، ٢٧٣.

وهذه تهمة خطيرة لو صحّت لأوجبت إخراج الحجاج من عداد المسلمين؛ لتغييره في هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لذا يجدر بنا أن نتصدّى لهذه التهمة؛ ونبيّن عدم صحتها؛ وأنّها محض افتراء؛ والأدلّة على ذلك ما يأتي(١):

١ـ من الناحية العلمية البحتة إسناد هذه الرواية ضعيف جدّاً؛ لأنّ فيه عباد بن صهيب البصري وقد تكلّم فيه أهل الجرح والتعديل:

قال عنه أحمد بن حنبل: قد رأيته بالبصرة غير مرّة وكانت القدرية تنتحله.

وقال علي بن المديني: قد ذهب حديثه.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: تركنا حديث عباد بن صهيب قبل أن يموت بعشرين سنة.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أَبِي عن عباد بن صهيب فقال: ضعيف الحديث، منكر الحديث، تُرك حديثه(٢).

٢ـ أنّ ما نسب إلى الحجاج هي نسبة كاذبة لا برهان لهم بها، ولا دليل عليها، وهاهو التّاريخ فليأتوا لنا منه بسلطان مبين على أن الحجاج جمع المصاحف؛ فضلاً عن أنّه نقص منها أو زاد فيها، ولو أنّه فعل ذلك لنقل إلينا متواتراً؛ لأنّ هذا مما تتوافر الدواعي على نقله وتواتره ! وكيف يفعل ذلك، والأمّة كلها تُقِرُّه، وأئمة الدين الموجودون في عهده كالحسن البصري يسكتون ولاينكرون، ولا يمكننا أن نتصور أنهم خافوا بطش الحجاج فسكتوا؛ فهذه مسألة من أهم أصول الدين لا يسكت عنها مسلم ولو كان السيف مُسَلَّطاً على رقبته، ولكانت تحت أيديهم

(١) تصدّى لبيان كذب هذه القصّة عن الحجّاج كثيرٌ من العلماء. ينظر: مناهل العرفان لمحمد الزرقاني ١/ ٢٧٣، وشبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردّها لمحمد قمحاوي ١٤٦، والحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه ١٠٠ ـ ١٠١، وقصص لا تثبت لأبي عبيدة مشهور ٨/ ٢٣٥.

(٢) ينظر: الجرح والتعديل ٦/ ٨١، ٨٢.

وثيقة دامغة بكفر الحجاج[١].

٣ـ إذا فرضنا جدلاً أن الصحابة والتابعين من سكان العراق خافوا بطش الحجاج فكيف يسكت غيرهم من سكان الشام وأهل الحجاز؟ وإذا كان هؤلاء جميعاً قد جبنوا عن أن يجابهوا الحجاج في هذا الأمر الجلل فهل يعقل أن يسكتوا على هذا التحريف بعد وفاته؟ وإذا كان الصحابة والتابعون وكبار علماء الدين قد سكتوا عن ذلك لسبب ما من الأسباب؛ فما الذي أسكت الخليفة على فِعْلَةِ واليه، تلك الفِعْلة التي تمس الدين في الصميم ؟[٢].

٤ـ إذا كان الحجّاج قد استطاع التّحكم في المصاحف، والتّلاعب فيها بالزيادة والنّقص، فكيف استطاع أن يتحكّم في قلوب الحفّاظ وهم آلاف مؤلفة في ذلك العهد، حتّى يمحو منها ما شاء ويثبت ما أراد ؟ ![٣].

٥ـ أنّ الحجّاج كان عاملاً من العمال على بعض أقطار الإسلام، فأنّى له أن يجمع المصاحف ويحرقها فيما عدا ولايته التي هو عامل فيها[٤].

٦ـ إذا كان الحجاج قد غيّر أحد عشر حرفاً في مصحف عثمان فهل ظل هذا المصحف مصحف عثمان أم أصبح مصحف الحجاج؟ ولِمَ لَمْ يدلنا السجستاني صاحب الرواية على العهد الذي أبيدت فيه مصاحف عثمان المقروءة إلى يومنا هذا[٥].

٧ـ من الناحية التاريخية نستطيع أن نقطع بأن الحجاج لم تمتد يده إلى مصحف عثمان بتغيير أو تبديل، وإلاّ لجعله المؤرخون هدفاً لحملة شعواء ترتكز على أساس سليم، فها نحن أولاء قد رأيناهم يصبون عليه جام غضبهم لأمور قد

(١) ينظر: مناهل العرفان ١/ ٢٧٣، والحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه ١٠٠، ١٠١.

(٢) ينظر: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه ١٠٠، ١٠١.

(٣) ينظر: مناهل العرفان ١/ ٢٧٤.

(٤) ينظر: المصدر السّابق.

(٥) ينظر: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه ١٠٠، ١٠١.

يختلف فيها الرأي ويقيمون عليه الدنيا لأسباب أقلّ من ذلك بكثير، فلا يعقل والحالة هذه أن يسكتوا عن هذا الحادث الجلل وتحت أيديهم الدليل على ما به يتهمون ؟(١).

والحقُّ كما قال محمد قمحاوي أنّ: «هذه دعوة باطلة تحمل بطلانها في ألفاظها، وتدل على جرأة هؤلاء الملحدين وإغراقهم في الجهل والضلال، وكل الّذي نسب إلى الحجاج أنّه كان والياً فيه شدة وقسوة وظلم وعدوان في ولايته أمات بها النّخوة العربيّة والشّهامة البدوية فَقَتَلْ مَنْ قَتَل ونَفَى مَنْ نَفَى من المسلمين، لكنّ التاريخ لم يثبت أنّه تعرّض في شدته وقسوته لأي ناحية عقديّة أو قرآنيّة»(٢).

وخلاصة القول في الحجّاج ما قاله الذّهبي عنه: «نَسُبُّهُ ولا نُحِبُّهُ، بل نُبْغِضُهُ في الله؛ فإنَّ ذلك من أوثق عُرَى الإيمان. وله حسناتٌ مَغْمُورةٌ في بَحْرِ ذنوبه، وأَمْرُهُ إلى الله، وله توحيدٌ في الجملة، ونُظَراء مِنْ ظَلَمة الجبابرة والأمراء»(٣).

وقد شكك بعض غلاة الرّافضة وبعض النّصارى بسبب هذه القصّة وأمثالها في صحة القرآن الموجود بين أيدينا، وزعموا أنّه لا يمكن الاعتراف به مصدراً للدين، بسبب الشك في صحته، وبراءته من المآخذ، فإنهم قد تشككوا على وجه العموم في صحة النّص العثماني، وهم يدّعون أنّ هذا النّص العثماني بالنسبة إلى القرآن الصحيح الّذي جاء به محمد ﷺ يشتمل على زيادات وتغييرات هامة، كما استؤصلت منه ـ على حد زعمهم ـ أيضاً من جانب آخر قِطَعٌ هَامّةٌ من القرآن الصحيح؛ بالإبعاد والحذف(٤).

---

(١) ينظر: المصدر السّابق.

(٢) شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردّها ١٤٦.

(٣) سير أعلام النّبلاء ٤ / ٣٤٣.

(٤) قصص لا تثبت ٨ / ٢٣٥. وينظر تفصيل ما قيل في كتاب " مذاهب التفسير الإسلامي " لجولد تسهر ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

المطلب الرّابع: صحة نسبة القراءة إلى الحجّاج:

من خلال بحثي في كتب القراءات وقفت على سبع قراءات للحجاج بن يوسف؛ خمس قراءات منها متفق على أنه قد قرأ بها؛ وقراءتان طال الحديث عنهما، وهل هما قراءة أم لحن وقع فيه الحجاج؟، وهذه قضية يجدر بنا أن نقف عندها ونتأملها بدقة؛فنحن بين أنّ نُقِرَّ بأنّ ما ورد في هذه الآية هو لحن من الحجاج، أو أنها قراءة؛ لكنّ الّذي يترجح أنّها لحن؛ لأنّ الحجاج قد أقرّ على نفسه دون أن يصرّح بذلك؛ فسؤاله يحيى بن يعمر بقوله: أتسمعني ألحن على المنبر؟ وما جاء من نفيه يدلّ على أنّ ذلك صدر منه من طريق اللحن، فلو أنّها قراءة عُرِفَ بها لَمَا سأله يحيى بذلك؟ ولَبَيَّنَ له الحجاج أنّ هذه قراءة وصلت إليه من طريق السند فلا مجال لتلحينها؛ على أنّ ما أقوله ينطبق على قراءة (أحبٌّ إليكم)[1] بالرفع؛ وهي الّتي ذكرها ابن عساكر عند ذكره لقصة التلحين هذه فقال: «قال الحجاج ليحيى بن يعمر الليثي: أتسمعني ألحن على المنبر؟ قال يحيى: الأمير أفصح الناس إلاّ أنه لم يكن يَروي الشعر، قال: تسمعني ألحن ؟ قال: حرفاً قال: في أيّ ؟ قال: القرآن، قال: فذاك أشنع له، قال: وما ذاك ؟ قال: ما هو ؟ قال: تقول: (إن كان آباؤكم وأبناؤكم)[2] الآية (أحبٌّ إليكم من الله ورسوله) بالرفع، قال:فبعث به إلى خُراسان وبها يزيد بن المهلب. قال محمد بن سلام: وأخبرني أبي أن يزيد كتب إلى الحجاج قال: إنّا لقينا العدو ففعلنا وقتلناهم واضطررناهم إلى عَرعرة الجبل. فقال: الحجاج: ما لابن المهلب وهذا الكلام ؟ قيل له: إنّ ابن يعمر عنده. قال: ذاك أخزاهم. انتهى»[3].

(١) من الآية ٢٤، في سورة التوبة.

(٢) من الآية ٢٤، في سورة التوبة.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١٥١.

وذكر ابن عساكر أيضاً خبراً آخر عن الحجاج مع يحيى بن يعمر؛ قال: «كان يحيى بن يعمر من عَدْوَان، وكان كاتب المُهلب بخُراسان، قال: فجعل الحجاج يقرأ كتبه يتعجّب منها، فقال: مَنْ هذا ؟ فأخبر فكتب فيه، فقدم فقرأ قراءة فصيحة جداً، فقال: أين وُلدت ؟ قال: بالأهواز، قال: فما هذه الفصاحة ؟ قال: كان أبي نشأ في تنوخ فأخذت ذلك عنه، قال: أخبرني عن عنبسة بن سعيد يَلْحَن ؟ قال: كثيراً، قال: فأنا أَلْحَن، قال: لحناً خفيفاً، قال: أين ؟ قال: تجعل إنّ أنّ، وأنّ إنّ ونحو ذلك، قال: لاتُسَاكِنِّي ببلد؛ اخرج»(١).

وأشار إلى ذلك أيضاً ابن كثير؛ فقال: «وقدكان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر؛ منها أنه كان يبدل إنّ المكسورة بأنّ المفتوحة، وعكسه، وكان يقرأ: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) إلى قوله: (أحبَّ إليكم) فيقرأها برفع: أَحَبُّ»(٢).

أمّا القراءة الثانية؛ وهي: (أنّ ربهم بهم يومئذ خبيرٌ) فيفهم من كلام ابن خالويه أنّ الحجاج ليس له قراءة خاصة، وإنما فراره من اللحن جعله يقرأ هذه القراءة؛ قال: «وقرأ الحجاج على المنبر ـ وكان فصيحاً ـ (أنّ ربهم) بالفتح، فلما علم أن اللام في خبرها أسقط اللام لئلا يكون لَحْناً، فقرأ (أنّ ربهم بهم يومئذٍ خبير) فَفَرَّ من اللحن عند الناس، ولم يبال بتغيير كتاب الله لجرأته على الله وفجوره»(٣).

لكنّ الشّهاب الخفاجي تعقّب ابن خالويه فيما ذكر من جُرْأَةِ الحجّاج على الله؛ فقال: «فما قيل: إنّه لجرأته على كلام الله لَمَّا فتح الهمزة أسقط اللام من غير علم

(١) المصدر السّابق.

(٢) البداية والنهاية ٩ / ١٦٧.

(٣) كتاب الطارقية في إعراب ثلاثين سورة من المفصّل ٣٣١.

وينظر: إعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٥٢١.